التجديد التفسيري وتنزيل الآيات على الواقع عند الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)

د. عبد الله محمد يوسف(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين. أما بعد؛ فقد اتجهت الجهود العلمية المبذولة، من لدن الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، حتى يومنا هذا، على اختلاف توجهاتها ومشاربها، نحو خدمة النص القرآني، فعملت هذه الجهود في تضافر وتكامل لإبراز جوانب عظمة القرآن؛ بتوظيف العلوم والفنون في خدمة النص المعجز؛ توثيقا وقراءة وبيانا وتدبرًا واستنباطا. وقد استمدت هذه العلوم أصولها التقعيدية من القرآن ؛ فمنه تفتقت أكمامها نشأة وتقعيدًا، وإليه عادت لتفسره وتجلي من أسراره وهداياته ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

فالقرآن العظيم في حياة الأمة هو المنطلق المعرفي، وقطب الرحى الذي تدور حوله الجهود العلمية، على اختلاف صنوفها، وهو ما يقرره ابن جزي الغرناطي في كلامه عن محورية تفسير النص القرآني، إذ يقول:" فأما التفسير فهو المقصود بنفسه ، وسائر العلوم أدوات تعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرع عنه"(١).

غير أن جهودًا خاصة، تبرز بين فترة وأخرى في مسيرة الدرس التفسيري للقرآن العظيم، تجيء على قدَر؛ لتجدد معالم التفسير، وتجلي أصوله وضوابطه، وتحمى الأمة من تحريف الفهم وفساد التأويل، وتقدم للناس هدايات القرآن وأحكامه فيما يجدّ من أحداث وما يعنّ من قضايا. وهذه الجهود هي عمل المفسرين المجددين في كل عصر.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة، في محاولة لرصد بعض جوانب حركة التجديد التفسيري في القرن الرابع عشر الهجري، من خلال جهود أحد أهم

(*) مدرس الدراسات الإسلامية بآداب سوهاج

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي ، ٦/١

مفسريه المجددين، وهو الإمام محمد الأمين الشنقيطي ؛ نظرًا لموسوعيته، وغزارة مصنفاته التفسيرية، وطول باعه في شتى صنوف العلوم الآلية والغائية، وهذا ما يستدعي الوقوف على جوانب إسهاماته وإضافاته التجديدية في مسيرة الدرس التفسيري في العصر الحديث.

كما تتطلع الدراسة إلى استقراء جهود العلامة الشنقيطي في تنزيل الآيات على الوقائع التي عاصرها. وهذا المنحى التجديدي في التفسير، علاوة على كونه يفتح آفاقا جديدة لتدبر النص القرآني ومعايشته وحضور معانيه في واقع الحياة ومستجداتها، فهو توثيق للأحداث من منظور تفسيري. كما يكشف هذا المنحى جانبًا مهمًا من إعجاز القرآن؛ وهو صلاحيته لكل زمان ومكان، وهذا من أسرار خلود القرآن وتجدد عطائه الحضاري. وهو من بعد ذلك يعكس انفتاح المفسر على ثقافة عصره ومعطيات واقعه.

وتعتمد هذه الدراسة المنهج الاستقرائي؛ باستقراء المعالجات التفسيرية للآيات، وتصنيفها تبعًا لألوان التفسير المختلفة، بغرض الوقوف على أهم جوانب التجديد التفسيري عند العلامة الشنقيطي، وجهوده في تنزيل الآيات على الواقع، ومدى إضافته مفاهيم ومناهج تفسيرية جديدة تفتح آفاقا تدبرية واستنباطية للنص القرآني.

أما حدود الدراسة ومجالها؛ فالدراسة لا تنحصر في كتاب بعينه للأمين الشنقيطي، بل تتناول هذا الموضوع من خلال مصنفاته التفسيرية بشكل عام. كما تركز الدراسة في محاولتها بيان جهوده التجديدية على أبرز الجوانب التي تميز في معالجتها عن معاصريه وأثرى فيها جهود سابقيه، وإضافاته التي تفرد بها.

هذا وتقوم الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة علي هذا النحو :

المقدمة : وفيها بيان أهمية موضوع الدراسة وأهدافها ومنهجها البحثي وخطة الدراسة.

المبحث الأول : وهو بعنوان: أسس التجديد التفسيري ومنطلقاته، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول : التجديد لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: دلالات التجديد في نصوص القرآن والسنة.

المطلب الثالث: مفهوم التجديد في التفسير.

المبحث الثاني : وهو بعنوان: إضافات الشنقيطي التجديدية للدرس التفسيري في القرن الرابع عشر الهجري ، ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول: تجديد تفسير القرآن بالقرآن عند الأمين الشنقيطي.

المطلب الثاني: جهوده التجديدية في التفسير الموضوعي.

المطلب الثالث: جهوده التجديدية في حل مشكل القرآن.

المطلب الرابع: جهوده التجديدية في تدبر واستنباط معاني القرآن.

المطلب الخامس: جهوده التجديدية في التفسير البياني.

المبحث الثالث : وهو بعنوان: التجديد التفسيري عند الأمين الشنقيطي من خلال تنزيل الآيات على الواقع ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تنزيل الآيات على الواقع ؛ مفهومه وفوائده ووجه الحاجة إليه.

المطلب الثاني: أبرز القضايا المعاصرة التي عني الشنقيطي بتنزيل الآيات عليها.

وأخيرًا الخاتمة ؛ وبها أهم نتائج الدراسة وتوصياتها.

والله ولي التوفيق ، والهادي إلي سواء السبيل ،،،

***

المبحث الأول

أسس التجديد التفسيري ومنطلقاته

المطلب الأول : التجديد لغةً واصطلاحًا :

التجديد في أصل وضعه اللغوي مأخوذ من (الجَدّ) أي القطع؛ يقال ناقة جَدود أي: منقطع لبنها، والجدّاء من الإبل: المقطوعة الأذن، ويقال ثوب جديد ومجدود أي مقطوع؛ يراد به حينما جدّه الحائك أي قطعه(١). ثم احتمل اللفظ معانيَ أخرى منها الجديد: أي الحديث العهد بالوجود، والجدة ـ بالكسر ـ نقيض البلى. يقال: جَدَّ الشيءَ وأجدَّه : صيره جديدًا. وتجدد الشيءُ وجدَّ يجدُّ جدَّة ـ بكسر الجيم منهما: صار جديدًا، والجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يبليان. ومن معانيه الاجتهاد؛ يقال: جدَّ به الأمر وأجدَّ: إذا اجتهد(٢). والتجديد على صيغة التفعيل

---

(١) ينظر: لسان العرب ، لابن منظور، ١٠٧/٣، مادة (جدد)، وتاج العروس، للزبيدي، ٤٨٦/٧، مادة (جدد).

(٢) ينظر: مختار الصحاح، للرازي، ص ٤٠، مادة (جدد) ، ولسان العرب، لابن منظور، ١٠٧/٣، مادة (جدد)، والمصباح المنير، للفيومي، ص ٣٦، مادة (جدّ).

الدالة على بذل المجهود لإحداث الفعل وتكثيره[١]؛ فالتجديد يدل على الاجتهاد وطلب الجدة بالابتكار والخروج عن المألوف.

ويتبين من هذا أن التجديد في اللغة يطلق ويراد به : [أولا] ـ القطع ، وهو أصل وضعه اللغوي [ثانيًا] ـ الانتقال من حالة البلى إلى حالة الجدة؛ وذلك بإعادة إحياء الشيء البالي الذي تقادم عليه العهد، وتوالت عليه عوامل البلى التي طمست جوهره، وإعادته إلى حالته الأولى بإحياء ما اندرس من معالمه. [ثالثا] ـ الاجتهاد والابتكار والخروج عن النمط المألوف؛ فالتجديد يعني "الإتيان بما ليس مألوفا أو شائعًا كابتكار موضوعات أو أساليب تخرج عن النمط المألوف والمتفق عليه جماعيًا، أو إعادة النظر في الموضوعات الرائجة ، وإدخال تعديل عليها، بحيث تبدو مبتكرة لدى المتلقي"[٢].

أما في الاصطلاح فقد تناول العلماء تعريف التجديد بعبارات مختلفة ؛ يكمل بعضها بعضًا، ومن ذلك قول الإمام شمس الدين العلقمي فيما نقله عنه الإمام العظيم آبادي:"معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما"[٣].

ويقول العلامة رشيد رضا:" المراد بتجديد الدين: تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته"[٤].

ويقول الدكتور بسطامي سعيد " تجديد الدين هو إحياؤه وبعث معالمه العلمية والعملية التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف"[٥].

وأرى أن تعريف العلامة محمد رشيد رضا أجمع هذه التعاريف وأوعبها؛ ذلك أنه يتضمن عدة أمور هي ركائز التجديد ومقوماته ـ على نحو ما سيتبين من دلالات التجديد في نصوص القرآن والسنة ـ وهي : إحياء علوم الدين وهداياته،

(١) ينظر: الفروق اللغوية، للعسكري، ص١٥١.
(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ٣٤٩/١، مادة (جدد).
(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي، ٢٦٠/١١
(٤) محمد رشيد رضا ، مقالة بعنوان (الجمع بين الذكران والإناث في المدارس ومسألة التجديد والتجدد)، مجلة المنار، عدد صفر، ١٣٤٨هـ، مجلد رقم (٣٠)، ص ١١٥
(٥) مفهوم تجديد الدين، د. بسطامي محمد سعيد، ص ٢٨

وتنقيته من الشوائب والبدع والخرافات، وتنزيل أحكام الكتاب والسنة على واقع الحياة ومستجداتها.

غير أن هذه الأمور لا يضطلع بالقيام عليها إلا من حاز رتبة الاجتهاد، كما سيتبين بعد قليل في المطلب الثاني من هذا المبحث. وتأسيسًا على ذلك يمكن تعريف التجديد في الاصطلاح الشرعي بأنه : ما يقوم به المجتهدون في كل عصر من إحياء علوم الدين وهداياته، وتنقيته من الشوائب والخرافات والبدع، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها.

المطلب الثاني : دلالات التجديد في نصوص القرآن والسنة :

[أولًا] - دلالات التجديد في استعمال القرآن: وإذ لم يرد لفظ (التجديد) في القرآن الكريم؛ فيمكن استنباط دلالة التجديد في القرآن من خلال معنى لفظ (جديد) في الاستعمال القرآني.

وبالنظر إلى موارد الاستعمال القرآني نجد أن لفظ (جديد) لم يُستعمل في القرآن العظيم بمعناه الأصلي الدال على القطع[١]، وإنما استعمل بمعنى الجديد والمحدث ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾[٢]. وقد نبه الإمام الراغب الأصفهاني إلى هذا الاستعمال القرآني للفظ على غير أصل وضعه اللغوي؛ فيقول بعد أن ذكر أن أصل وضع (الجد) بمعنى القطع: "وثوب جديد: أصله المقطوع، ثم جُعل لكل ما أحدث إنشاؤه، ومنه قوله تعالى ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ إشارة إلى النشأة الثانية"[٣]. كما نبه إلى ذلك العلامة ابن عاشور إذ يقول: "الخلق الجديد، الحديث العهد بالوجود، أي في خلق غير الخلق الأول الذي أبلاه الزمان. فجديد: فعيل مِن جَدَّ بمعنى قطع. فأصل معنى جديد: مقطوع، وأصله وصف للثوب الذي ينسجه الناسج فإذا أتمه قطعه من المنوال ... ثم شاع

---

(١) يعمد الاستعمال القرآني إلى مادة (جذذ) بالمعجمة للدلالة على هذا المعنى؛ قال تعالى (عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ) [هود/١٠٨] فسره أبو عبيد: غير مقطوع، والاجتذاذ: الانقطاع (ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤٧٩/٣، مادة: جذذ)

(٢) سورة ق، ١٥

(٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، ، ص ٨٨

ذلك فصار الجديد وصفًا بمعنى الحديث العهد، وتنوسي معنى المفعولية منه فصار وصفا بمعنى الفاعلية. فيقال جَدَّ الثوب بمعنى كان حديث عهد بنسج"[١]. فتجديد الخلق في الآية يعني الإحياء والإعادة بعد البلى.

ونجد الاستعمال القرآني للمعنى نفسه في قوله تعالى﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ۝٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾[٢]. فهؤلاء ينكرون أن يُجَدّد خلقهم بعد أن تبلى أجسادهم في القبور، فيرد عليهم الله تعالى مخبرًا أنهم لو كانوا حجارة أو حديدًا لأعادهم كما بدأ خلقهم أول مرة. قال مجاهد: المعني كونوا كما شئتم فستعادون[٣]. وهذا المعنى هو ما نجده في الاستعمال القرآني للفظ (جديد) في المواضع الأخرى[٤].

[ثانيًا] - دلالات التجديد في استعمال السنة : من الأحاديث التي جاء فيها استعمال كلمة التجديد قوله ﷺ :"إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب؛ فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم"[٥]. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا الدهر؛ فإن الله عز وجل قال: أنا الدهر؛ الأيام والليالي لي، أجددها وأبليها، وآتي بملوك بعد ملوك"[٦].

ومن هذين الحديثين وغيرهما نلمح من دلالات التجديد: الإحياء وإعادة الشيء إلي حالته الأولى بعد أن أصابه النقصان والبلى؛ فالإيمان ينقص بعد أن وقر في قلب صاحبه، ويلزم لتجديده الذكر والطاعات ليعود إلى مثل حالته الأولى وأفضل. وكذلك الأيام والليالي تذهب وتعود، فذهاب اليوم وانقضاؤه يعني أنه قد بلي، ويحصل تجدده بعودة يوم مثله.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، ١٥٠/٢٢
(٢) سورة الإسراء، ٤٩-٥١
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٢٧٤/١٠
(٤) ينظر: مفهوم تجديد الدين، د. بسطامي محمد سعيد، ص ١٤-١٥
(٥) أخرجه الحاكم أبو عبدالله النيسابوري، في المستدرك ، كتاب الإيمان، ٤٥/١، برقم (٥). قال المناوي: "اقره الذهبي، وقال العراقي في أماليه: حديث حسن من طريقيه". (فيض القدير، المناوي، ٤١٠/٢)
(٦) أخرجه أحمد، في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ ، ٤٩٦/٢، برقم: ١٠٤٤٢ ، والبيهقي، في شعب الإيمان، ٣١٦/٤، برقم: ٥٢٣٧، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد، للهيثمي، ٧١/٨)، وصححه ابن حجر (ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٦٥/١٠)

على أن كلمة التجديد في السنة النبوية تستمد تأصيلها ومفهومها الشرعي من الحديث الذي أخبر فيه النبي ﷺ أصحابه بنبوءة بعث الله تعالى المجددين للأمة على رأس كل مائة سنة. وهذا النص النبوي الجليل هو العمدة في استقراء دلالات التجديد المبثوثة في كتب علماء شروح الحديث؛ فقد انطلقت منه شروحهم وأقوالهم التي تناولت بيان مفهوم التجديد في السنة الغراء.

فعن أبي هريرة ﷺ ، عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"(١).

ولعل أهم الدلالات التي يمكن استقراؤها من كتب علماء شروح الحديث وغيرهم في هذا الحديث، تتمثل فيما يأتي:

[١] – إحياء علوم الدين وهداياته: جاء في فيض القدير للمناوي أن ما يتجدد من أمر الدين هو "ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة"(٢). وعليه فإن التجديد يتمثل دوره الأكبر في إحياء العمل بالكتاب والسنة؛ بإنارة المجتمع بنور العلوم الشرعية، وتجلية أحكام الشريعة ليعمل الناس بمقتضاها، ويسيروا على هديها.

ويؤيد هذه الدلالة ما أورده الذهبي عن الإمام أحمد: "إن الله يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الكذب"(٣). وبهذا يتبين أهمية التعليم في مفهوم التجديد؛ فكأن التجديد هو تعليم الناس أمور دينهم.

ولعل هذا ما حدا بحجة الإسلام الغزالي إلى الاضطلاع بدوره التجديدي الرائد في عصره، فيقول رحمه الله في معرض كلامه عن دواعي تصنيف كتابه إحياء علوم الدين:" فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه: فقهًا وحكمة وعلمًا وضياءً ونورًا وهداية ورشدًا، فقد أصبح من بين الخلق مطويًا، وصار نسيًا منسيًا. ولما كان هذا ثلمًا في الدين

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، واللفظ له، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ١٠٩/٤، برقم:٤٢٩١. والحاكم في مستدركه، كتاب الفتن والملاحم، ٥٦٧/٤، برقم: ٨٥٩٢. والطبراني في الأوسط، ٣٢٤/٦، برقم: ٦٥٢٧، وصححه العراقي (ينظر: فيض القدير، للمناوي،٣٥٨/٢)، والسخاوي، في المقاصد الحسنة، ٣٠٢/١، وقال الألباني: "والسند صحيح ، رجاله ثقات رجال مسلم " (السلسلة الصحيحة ، ١٤٨/٢).

(٢) فيض القدير، للمناوي، ١٤/١

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٤٦/١٠

ملمًا، وخطبًا مدلهمًا، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهمًا؛ إحياء لعلوم الدين، وكشفًا عن مناهج الأئمة المتقدمين، وإيضاحًا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين"[١].

ويؤكد الإمام السيوطي هذا الدور الإحيائي التعليمي للمجدد ؛ حين يقول في أرجوزته التي نظمها حول هذا الحديث، وأسماها (تحفة المهتدين بأخبار المجددين)، وقد أوردها بتمامها العلامة العظيم آبادي في عون المعبود. يقول السيوطي مبرزًا الدور التعليمي الإحيائي للمجدد:

وأنْ يكونَ جامعًا لكلّ فنْ وأن يعمّ علمُه أهلَ الزّمنْ[٢].

[٢] – مواجهة البدع والخرافات والانتصار للسنن: يقول في مرقاة المفاتيح عن عمل المجدد: "يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم ، ويعز أهله، ويقمع البدعة، ويكسر أهلها"[٣]. كما يقرر العظيم آبادي أن تنقية علوم الدين من الشوائب والبدع ومواجهة الخرافات والانتصار للسنن شرط في المجدد، وبدون ذلك لا يكون مجددًا. يقول رحمه الله: "فظهر أن المجدد لا يكون إلا من كان عالمًا بالعلوم الدينية ومع ذلك من كان عزمه وهمته آناء الليل والنهار إحياء السنن ونشرها ونصر صاحبها وإماتة البدع ومحدثات الأمور ومحوها وكسر أهلها باللسان أو تصنيف الكتب والتدريس أو غير ذلك. ومن لا يكون كذلك لا يكون مجددًا البتة، وإنْ كان عالمًا بالعلوم مشهورًا بين الناس مرجعا لهم"[٤].

ويلاحظ من كلام الإمامين القاري والعظيم آبادي ارتباط مفهوم التجديد عند العلماء ـ لا سيما أهل الحديث ـ بمواجهة البدع والانتصار للسنن ؛ ذلك أن صلب عملهم هو الذود عن حياض السنة، وصونها من دعاوى المبطلين وجنوح الغالين.

[٣] – الاجتهاد وتنزيل نصوص الكتاب والسنة على الوقائع والمستجدات: ومن أهم دلالات التجديد التي أبان عنها العلماء في مدارستهم ذلك النص النبوي الجليل: الاجتهاد الذي به تُستنبط الأحكام الشرعية من نصوص الكتاب والسنة، وتَنزّل على واقع الحياة؛ ذلك أن الاجتهاد برهان على استمرارية وتجدد العطاء

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ، ٢/١
(٢) عون المعبود، العظيم آبادي، ٢٦٥/١١
(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري ، ٤٦١/١
(٤) عون المعبود، العظيم آبادي، ٢٦٣/١١

الحضاري لنصوص الوحيين، واستيعابها ما يستجد من الوقائع والنوازل. وفي ضوء ذلك يتبين لنا عبقرية أبي بكر الصديق ﷺ في جمع القرآن ، وعبقرية الفاروق ﷺ في تدوين الدواوين وتأسيس بيت المال واستحداث التقويم الهجري، وعبقرية عثمان بن عفان ﷺ في نسخ المصاحف واعتماد المصحف الإمام، وعبقرية علي بن أبي طالب ﷺ مستشار الفاروق ﷺ في النوازل.

وقد عني العلماء بتقرير معنى الاجتهاد في التجديد انطلاقا من هذا الحديث، ومن ذلك ما ترجمه الإمام السيوطي في كتابه (تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد) قائلا: "فصل في أن المجتهد مجدد للدين في كل قرن"(١).

ويؤكد هذا المعنى في أرجوزته قائلا:

لقدْ أتى في خبرٍ مشتهرْ رواهُ كلّ حافظٍ معتبرْ
بأنه في رأسِ كلِّ مائةِ يبعثُ ربنا لهذي الأمةِ
منا عليها عالمًا يجدّدُ دينَ الهدى لأنه مجتهدُ(٢)

ومرجع أهمية الاجتهاد في عمل المجدد إلى تمكنه من تنزيل معاني الوحيين على الحوادث والمستجدات، فيضيء درب الأمة بما لديه من ميراث النبوة، ويبعث كوامن الخير فيها؛ "وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتم الأنبياء والرسل، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها، بل لا بد من طريق وافٍ بشأنها، اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرْم(٣) من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث؛ إجراء لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم"(٤).

وقد جاء في وصف المجدد أن يكون "مجتهدًا ، واحدًا أو متعددًا، قائمًا بالحجة، ناصرًا للسنة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق النظريات من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته"(٥).

---

(١) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للإمام السيوطي، ص ٥٩
(٢) عون المعبود، ٢٦٥/١١
(٣) القرم ـ بفتح القاف ـ من الرجال: السيد المكرم (ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة قرم، ٧٥/٥)
(٤) فيض القدير، ١٤/١
(٥) المصدر نفسه، ١٤/١

المطلب الثالث : مفهوم التجديد في التفسير :

لا يبتعد مفهوم التجديد في التفسير عن المفهوم العام للتجديد بعناصره المذكورة آنفًا، مع الأخذ في الاعتبار التزام التجديد التفسيري القواعد والضوابط المنهجية التي قعدها علماء أصول التفسير.

فإذا كان التجديد في الدين ـ كما سبق بيانه ـ يعني أن يقوم المجتهدون في كل عصر بإحياء علوم الدين وهداياته، وتنقيته من الشوائب والخرافات والبدع، وتنزيله على واقع الحياة ومستجداتها؛ فإن التجديد التفسيري يقوم على جهود المجتهدين من علماء التفسير؛ بإحياء فهم وتدبر معاني القرآن العظيم وتقريب هداياته للناس، وتوضيح مشكله، واستنباط أحكامه وحكمه.

كما يستلزم التجديد التفسيري أن يقوم علماء التفسير بتنقيته من الدخيل؛ كالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات والأقوال التفسيرية الفاسدة التي تنتصر للفرق الضالة المارقة من صحيح الكتاب والسنة.

ولما كان القرآن العظيم هو المعجزة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان، والدستور القويم الذي يهدي البشرية إلي الصراط المستقيم، والتشريع العام الذي يتكفل بجميع ما يحتاج إليه البشر في كافة الأمور؛ كان لزامًا على المجتهدين من علماء التفسير أن يستلهموا من معاني القرآن وهداياته ما يقدمونه للناس، فيما يجدّ لهم من أمور ويعنّ لهم من قضايا. ومن هنا تبرز أهمية التجديد التفسيري. وفي هذا الصدد يتساءل الدكتور محمد إبراهيم شريف رحمه الله قائلا: "وإذا كان القرآن هو آخر الكتب السماوية المنزلة، والمقدر له أن يهيمن على شؤون حياتنا جميعها، كيف يمكن أن يوهب له الخلود إذا كان فهمه منذ بضعة عشر قرنًا يجب أن يبقى إلى اليوم ؟ وماذا فيما يعترض حياتنا من جديد وهي بطبيعتها نامية متطورة ؟ وفي كل يوم تجد أمور وتبتكر عقول ؟ "[1] ثم يخلص رحمه الله من ذلك إلى تقرير أن "القرآن ما زال بحاجة إلى مزيد من البحث النظري، وما زلنا في حاجة إلى تفاسير جديدة للقرآن في كل زمان ومكان، ما دام القرآن جديدًا، وما دامت جوانب الهداية فيه مكنونة لم تنفلق عنها أصدافها؛ حتى كأنه لم يفسر بعد" [2].

(١) اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د. محمد إبراهيم شريف، ص ١٨٩
(٢) المرجع نفسه، ص ١٨٩

غير أن التجديد التفسيري لا بد أن يكون منضبطًا بضوابط التفسير وقواعده؛ فلا يعني التجديد التفسيري القول في القرآن بغير علم، وتحريف معاني الآيات ودلالاتها، وليّ أعناق النصوص لمسايرة الأهواء والفلسفات البشرية[١].

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف التجديد التفسيري بأنه: قيام المجتهدين من علماء التفسير بإحياء فهم وتدبر معاني القرآن؛ بتنقيتها من الدخيل، وتقريبها للناس، وتنزيلها على الواقع، مع التقيد بأصول التفسير وضوابطه المنهجية.

***

المبحث الثاني

إضافات الشنقيطي التجديدية للدرس التفسيري في القرن الرابع عشر الهجري

برع الإمام محمد الأمين الشنقيطي في معالجة معظم جوانب التفسير؛ من جوانب لغوية وأثرية وكلامية وبلاغية وفقهية وأصولية وغيرها، ولا غرو؛ فهو عالم موسوعي، معروف بتبحره في علوم الشرع عامة، وهذا الأمر من أهم مؤهلات المفسر المجدد، كما سبق بيانه. ويعنى هذا المبحث ببيان أهم إضافاته التجديدية للدرس التفسيري، بذكر أبرز الجوانب التي تميز في معالجتها عن معاصريه من مفسري القرن الرابع عشر، وأثرى فيها جهود سابقيه.

المطلب الأول: تجديد تفسير القرآن بالقرآن:

إن الناظر في تاريخ التدوين التفسيري للقرآن العظيم يدرك أهمية الدور التجديدي للعلامة الشنقيطي في تفسير القرآن بالقرآن في القرن الرابع عشر الهجري، بل وفي تاريخ التدوين التفسيري كله؛ فمن بين الكتب التي عنيت بتفسير القرآن بالقرآن في القرن الثامن تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وفي القرن الثاني عشر تفسير مفاتح الرضوان للأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) [٢]؛ يحتل كتاب العلامة الشنقيطي (أضواء البيان في إيضاح

(١) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي، ص ٤٥

(٢) ينظر: الأمير الصنعاني ؛ منهجه وجهوده في التفسير، رسالة ماجستير منشورة نوقشت بجامعة أم القرى، من إعداد الدارسة عائشة بنت جمعان الزهراني. نشر جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ. وقد بينت الدراسة أن الأمير الصنعاني قد نهج في تفسيره هذا منهج تفسير القرآن بالقرآن. وهو المنهج الذي يعلن عنه العنوان ابتداء؛ فعنوان الكتاب هو (مفاتح الرضوان في تفسير الذكر بالآثار والقرآن).

القرآن بالقرآن) موقعا تجديديًا فريدًا متميزًا في هذا اللون التفسيري. والشنقيطي في ذلك هو رائد تفسير القرآن بالقرآن في القرن الرابع عشر بلا منازع.

ويتجلى ذلك في توسعه في اصطلاح (تفسير القرآن بالقرآن)، وهو ما نجده في تطبيقاته ومعالجاته التفسيرية. والشنقيطي لم ينص صراحة على تعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن الذي جعله محور انطلاق تفسيره الرائد (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، ولكن يمكن استقراء دلالات هذا المصطلح من خلال مقدمة التفسير، ومن خلال معالجاته التفسيرية للآيات في ضوء آيات أخرى.

ولدى استقراء دلالات هذا المصطلح تبرز تساؤلات يمكن الانطلاق منها لتحديد مقدار التفسير الذي ينضوي تحت مسمى (تفسير القرآن بالقرآن) عند الأمين الشنقيطي، ليتبين لنا دلالة هذا المصطلح عنده؛ فلسائل أن يسأل: هل حدّ تفسير القرآن بالقرآن بيان شيء في الآية وقع بآية أخرى فسّرتها؟ أم أن دلالة هذا المصطلح أوسع من مجرد البيان؟ . ومشروعية التساؤل مردّها إلى أن الشنقيطي تارة يأتي ببيان مراد آية بآية أخرى؛ أي القرآن وضح القرآن. وتارة يجمع بين آية وأخرى لا لغرض البيان وإنما للربط بينها وبين آية أخرى لاشتراكهما في الموضوع، ولم يقع فيهما ما يبين بعضهما ببعض.

ومن أمثلة بيانه مراد آية بآية أخرى قوله : "وقوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] لم يبين هنا ما العالمون ، وبين ذلك في موضع آخر بقوله ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤﴾[2] "[3]. فبين معني العالمين في الفاتحة بآية الشعراء.

ومن أمثلة الجمع بين آية وأخرى لاشتراك الموضوع لا لحاجة البيان المباشر لألفاظ الآية: قوله في تعليقه على قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾[4] : "لم يذكر لحمده هنا ظرفا مكانيًا ولا زمانيًا. وذكر في سورة الروم أن من ظروفه المكانية السماوات والأرض في قوله: ﴿ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[5]، وذكر في سورة القصص أن من

(١) سورة الفاتحة، من الآية ٢
(٢) سورة الشعراء، ٢٣،٢٤
(٣) أضواء البيان ، ٥/١
(٤) سورة الفاتحة، آية ٢
(٥) سورة الروم، من الآية ١٨

ظروفه الزمانية الدنيا والآخرة في قوله: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ﴾[١] "[٢]. فربط بين الحمد المطلق في الفاتحة والحمد المقيد بالظرف الزماني أو المكاني في غيرها من السور، فجمع مع آية الفاتحة ما يوافقها في الموضوع، ولم يكن بها ما يحتاج إلى بيان قرآني آخر، غير أن هذا الجمع يؤلف بين المعاني القرآنية المتعددة، ويتوخى الربط بينها؛ لينتج من ذلك تصور شامل للموضوع المشترك بين الآيات.

ومن هنا يمكن استقراء دلالة اصطلاح (تفسير القرآن بالقرآن) عند الشنقيطي، وأنه لا يقف عند غرض بيان ألفاظ الآية، بل تارة يستدل ويستشهد على معانى الآية بمعان في آيات أخرى ، ويوازن بين معنى في آية ومعان في آيات أخرى كما في المثال السابق. وعليه يمكن القول إن اصطلاح (تفسير القرآن بالقرآن) عند الشنقيطي يعني: كل ربط بين الآيات القرآنية؛ بالبيان أو الاستشهاد أو الاستدلال أو الموازنة، سواء كانت الآية المفسَّرة في حاجة إلى بيان أم لم تكن.

المطلب الثاني: جهوده التجديدية في التفسير الموضوعي :

يقصد بالتفسير الموضوعي أن يجمع المفسر الآيات المتناسبة في موضوع أو هدف واحد فيؤلف بينها ويربطها معًا، ثم يدرسها ويحللها لتعطي تفصيلاً لموضوع واحد يبين موقف القرآن الكريم منه[٣].

وإذا كان مصطلح (التفسير الموضوعي) لم يظهر عَلَمًا على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري[٤]؛ فإن هذا اللون من التفسير قد انتهجه الشنقيطي في تفسيرَيه أضواء البيان والعذب النمير، من خلال ربطه بين الآيات المشتركة في موضوع واحد كما سبق بيانه؛ فالشنقيطي رحمه الله يجمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد، فيرتبها ويربط بينها ليشكل منها موضوعًا متكاملا، ثم يعمد إلى تفسير تلك الآيات في ضوء ذلك الترتيب الموضوعي. ومن هنا يمكن القول إن الإمام الشنقيطي يعد من رواد هذا اللون في التفسير.

---

(١) سورة القصص، من الآية ٧٠
(٢) أضواء البيان ، ٥/١
(٣) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، ص ١٦
(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧

ومن أمثلته ما ذكره في قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١]، فيتناول موضوع الولاية، ثم يذكر مسائله وعناصره المبثوثة في آيات أخرى؛ فيتطرق إلى ولاية الله تعالى للمؤمنين، وولاية الرسول صلى الله عليه وسلم للمؤمنين، وولاية المؤمنين للمؤمنين، وولاية الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الكفار لا مولى لهم، وثمار الولاية. وفي كل ذلك يورد دلالات الآيات التي تتناول كل عنصر منها، ليعالج موضوع الولاية من جميع جوانبه كما جاء في القرآن[٢].

ومن ذلك أيضًا ما ذكره عند تعرضه لقوله تعالى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[٣]، فحدد موضوع الصبر، ثم تناول استعمال مادة (الصبر) في القرآن من حيث التعدي واللزوم، ثم تناول عظم خصلة الصبر وجزاء الصبر وأنواعه[٤]. والأمثلة كثيرة على عنايته بالتفسير الموضوعي في أثناء معالجاته التفسيرية للآيات.

وهذا العناية بالاسترسال والتوسع في تناول الموضوعات والقضايا ومعالجتها الموضوعية لا نجدها إلا عند القليل من مفسري القرن الرابع عشر، مما يؤكد دور الأمين الشنقيطي التجديدي في التفسير الموضوعي .

المطلب الثالث: جهوده التجديدية في دفع إيهام الاضطراب (حل مشكل القرآن):

لم يكتف العلامة الشنقيطي بمعالجة مسائل دفع إيهام الاضطراب من خلال تفسيرَيه (أضواء البيان) و(العذب النمير) ؛ بل أفرد لذلك كتابه القيم (دفع إيهام الاضطراب عن آيات[٥] الكتاب)، وهو السفر الجليل الذي خصصه لهذا اللون التفسيري؛ فاضطلع فيه بدفع الاضطراب ونفي التناقض عن القرآن العظيم،

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٥٧
(٢) ينظر: أضواء البيان، ١٥٨/١
(٣) سورة البقرة، من الآية ٤٥
(٤) ينظر: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ، ٤٦/١
(٥) وردت هذه التسمية بلفظ (آيات) في أضواء البيان (ينظر: أضواء البيان، ٢١٤/١، ٤٢٦/١، ٤٦٦/١ ومواضع كثيرة)؛ خلافا لما يذكره بعض من يترجم للشنقيطي من ذكر لفظ (آي) عند إيراد اسم هذا الكتاب ضمن مصنفاته، ومع أن المعنى واحد ، إلا أن الأولى إثبات ما اختاره المصنف رحمه الله؛ لذا لزم التنويه.

واعتنى بالرد على مطاعن المشككين والملحدين وشبهات المستشرقين، وهو كتاب فريد في بابه، غزير في علمه، عميق في معالجاته، والشنقيطي في كتابه هذا لا يكتفي بدفع إيهام التعارض؛ بل يجعل همه أولا العناية بالإشكال الناشئ من غرابة اللفظ أو غموض المعنى، ويمثل كتابه هذا إضافة تجديدية مهمة لمصنفات سابقيه في هذا اللون التفسيري(١).

أما معالجاته التفسيرية لمسائل دفع إيهام الاضطراب في تفسيرَيه (أضواء البيان) و (العذب النمير) فقد تميزت بدقة عرض وجه الإشكال وسببه، واقتداره في دفعه ونفيه. فأضاف إلي جهود سابقيه، وبزّ معاصريه؛ دقة ووضوحًا في عرض الإشكال وسببه، واقتدارًا ومُكنة في دفعه.

ومن شواهد ذلك في تفسيره (العذب النمير) ما فعله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٢) ففي الآية بيان تفضيل الله تعالى بني إسرائيل على العالمين، وهذا يوهم التعارض مع قوله تعالى عن أمة خاتم النبيين ﷺ ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾(٣)، ثم يحمل رحمه الله على هذا الإشكال مبينًا أن المراد من تفضيل بني إسرائيل على العالمين تفضيلهم على من في زمانهم، ولا ينافي هذا أن أمة محمد ﷺ أفضل منهم(٤).

ثم يستدل رحمه الله على أفضلية أمة خاتم المرسلين من القرآن ـ في وقفة استنباطية قيّمة ودرّة تفسيرية لا يتحصل عليها إلا المفسر المجدد ـ قائلا: "من الآيات المبينة لفضل أمة محمد ﷺ على أمة موسى أنه قال في أمة موسى﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴾(٥) فجعل أعلى مراتبهم الفئة المقتصدة، بخلاف أمة محمدﷺ فقسمهم إلى ثلاث طوائف، وجعل فيهم طائفة أكمل من الطائفة المقتصدة، وذلك في قوله في فاطر﴿ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ

(١) ينظر: مقدمة (دفع إيهام الاضطراب) وقد بين المؤلف فيها دوافع تأليف الكتاب ومنهجه فيه. كما ينظر : دفع إيهام التعارض عن الآيات الواردة في الإيمان بالرسل والقدر، خالد بن عبدالله الدميجي، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى، ١٤٣٧هـ ، وقد تناول الدارس في الفصل الثاني من الباب الأول أهم مصنفات مشكل القرآن ومناهج مصنفيها، وبيّن أهمية كتاب دفع إيهام الاضطراب.
(٢) سورة البقرة، ٤٧
(٣) سورة آل عمران، من الآية ١١٠
(٤) ينظر: العذب النمير، ٥٦/١
(٥) سورة المائدة، من الآية ٦٦

وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[١] فجعل فيهم سابقا بالخيرات، وهو أعلى من المقتصد، ووعد الجميع بظالمهم ومقتصدهم وسابقهم بجنات عدن في قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٢] وقال بعض العلماء: حُق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين. يعني واو ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ ؛ لأنه وعد من الله صادق، شامل بظاهره الظالم والمقتصد والسابق"[٣].

ومن جوانب تجديده في هذا اللون التفسيري استقصاؤه في إيراد أوجه التعارض والإشكال، وفي دحضها ودفعها؛ فهو طويل النفس، عميق التحقيق، يفصل أوجه الإشكالات تفصيلا وافيًا، فربما عرض للآية إشكالين أو أكثر، كما يفصل مباحث الآيات التي تتصل بهذه الإشكالات، ثم يواجهها بالدحض والدفع، بعد استيفاء البحث والتحقيق.

ولا يتسع المقام هنا لإيراد نماذج من هذه المباحث الاستقصائية المطولة، فيُكتفى بالإشارة إلى أن العلامة الشنقيطي لدي تعرضه لقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[٤] كتب نحو ست صفحات في مسألة توبة من تكررت منه الردة، محققًا ما يتصل بها من مسائل لغوية وأصولية، مستعرضًا أقوال المفسرين ومذاهبهم في أثناء عرضه أوجه حل الإشكال الوارد ودفعه[٥].

ومن شواهد استقصائه واستطراده أيضًا أنه عند قوله تعالى ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[٦]، أطال النفس في الكلام على ذبائح أهل الكتاب ، وفصّل التحقيق فيما يتعلق بذلك من مسائل، حتى بلغ نحو خمس عشرة صفحة [٧].

ومن مكامن تميز الشنقيطي وجوانب تجديده في هذا اللون التفسيري أيضًا: توظيف المباحث الأصولية في التوفيق بين موهم الاضطراب، فعمل على توظيف

(١) سورة فاطر، من الآية ٣٢
(٢) سورة فاطر، ٣٣
(٣) العذب النمير ، ١/٥٦-٥٧
(٤) سورة آل عمران، ٩٠
(٥) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص ٤٢- ٤٥
(٦) سورة المائدة، من الآية ٥
(٧) دفع إيهام الاضطراب، ص ٧٠- ٨٥

مباحث أصول الفقه – وهو الأصولي النحرير ذو التصانيف – في الجمع بين ما يوهم التعارض والاضطراب. وشواهد ذلك مبثوثة في تفسيرَيه[١].

المطلب الرابع: جهود الشنقيطي التجديدية في تدبر واستنباط معاني القرآن:

وباب الاستنباط في التفسير من الأبواب التي لا يقوى على خوض غمارها إلا المجددون المجتهدون من العلماء الراسخين، فلا يتأتى الاستنباط إلا لمن حاز الأهلية التامة للتجديد على نحو ما سبق بيانه في المبحث الأول. وقد حاز الإمام الشنقيطي قصب السبق التجديدي في استنباط معاني التنزيل؛ بما أوتي من موسوعية علمية فائقة، وبراعة في الاستشهاد والاستدلال، وعمق في الفهم والاستقراء، ودقة في الاستهداء إلى المغزى القرآني؛ ومن ذلك ما سبق الإشارة إليه من براعة استنباطه رحمه الله في معرض دفع إيهام الاضطراب وحل الإشكال عند بيانه أفضلية أمة خاتم المرسلين ﷺ على أمة موسى ﷺ .

ومن دلائل تجديده وإثرائه لهذا اللون التفسيري : تعدد مجالات الاستنباط وتنوعها عنده بين العقيدة وعلوم القرآن واللغة والبلاغة والفقه والأصول والسياسة الشرعية والتاريخ والأخلاق والآداب. وهذا من دلائل موسوعيته وتبحره في صنوف علوم الآلة والغاية، ومن نماذج ذلك:

١- من عنايته بالاستنباطات العقدية ما استنبطه من العلاقة بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب، وذلك من قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[٢]، فيخلص الشنقيطي من تقرير القرآن لخوف المؤمنين من انقطاع أسباب الرزق بمنع المشركين من الحج، وأنه تعالى سيغنيهم بأسباب أخرى؛ إلى اسكتناه معنًى عقدي يضبط العلاقة بين التوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب؛ فترك الأخذ بالأسباب معصية لله، والاعتماد عليها شرك بالله تعالى، بل يتوكل المؤمن على الله تعالى بقلبه، ويأخذ بالأسباب

(١) ينظر مثلا: توظيف القواعد الأصولية في حل مشكل القرآن، مثل قاعدة (حمل المطلق على المقيد) ، دفع إيهام الاضطراب ، ٤٦-٤٧ ، وتوظيف قاعدتي (الموصولات تدل على العموم) و (المنطوق مقدم على المفهوم)، أضواء البيان،٧ /٢٣٧

(٢) سورة التوبة، من الآية ٢٨

بجوارحه. كما يستنبط من ذلك أن تعلق القلب بأسباب الرزق والمعيشة لا ينافي توكل الإنسان على الله تعالى ولا يقدح في إيمانه [١].

٢- ومن عنايته بالاستنباطات المتعلقة بعلوم القرآن استنباطه رحمه الله توقيفية ترتيب آيات القرآن وسوره، وذلك في معرض كلامه عن سبب سقوط البسملة في سورة التوبة[٢].

٣- ومن عنايته بالاستنباطات اللغوية ما اقتنصه من مجموع قوله تعالى﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[٣] وقوله تعالى﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[٤]، من أن السبيل يذكر ويؤنث؛ ذلك أن الضمير في قوله تعالى﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ في الآية الأولى نص قرآني على أن السبيل مؤنثة، والضمير في قوله تعالى ﴿يَتَّخِذُوه ﴾ في الآية الثانية نص قرآني على تذكير السبيل[٥].

٤- ومن عنايته بالاستنباطات البلاغية وقفته أمام تعدد المؤكدات في قوله تعالى﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾[٦] فيقول:"يُفهم من تأكيده هنا بأن واللام، أن الكفار ينكرون رسالته، كما تقرر في فن المعاني، وقد صرح بهذا المفهوم في قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[٧][٨].

٥- ومن عنايته بالاستنباطات الفقهية ، وهي كثيرة جدًا في معالجاته التفسيرية، ما استنبطه من قوله تعالى﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[٩] من أن المكرَه ـ بفتح الراء ـ لا غرم عليه ولا قصاص، بل الغرم والقصاص علي المكره ـ بكسر الراء ؛ ذلك أن الله تعالى نسب الإخراج في الآية إلى الذين كفروا، لأنهم ألجأوا النبي ﷺ إليه، فسمى المكره ـ بكسر الراء ـ فاعلا[١٠].

---

(١) ينظر: العذب النمير، ٤١٦/٥
(٢) ينظر: أضواء البيان، ١١٢/٢
(٣) سورة الأعراف، من الآية ٨٦
(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٤٦
(٥) ينظر: أضواء البيان، ٣٦/٢
(٦) سورة البقرة، من الآية ٢٥٢
(٧) سورة الرعد، من الآية ٤٣
(٨) أضواء البيان، ١٥٤/١
(٩) سورة التوبة، من الآية ٤٠
(١٠) ينظر: العذب النمير، ٥٢٩/٥

٦- ومن عنايته بالاستنباطات الأصولية، وهي كثيرة في معالجاته التفسيرية ، ما استنبطه من قوله تعالى﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡ﴾[١] منَ اقتضاء الأوامر الشرعية الفور لا التراخي[٢].

٧- ومن عنايته بالاستنباطات المتعلقة بالسياسة الشرعية ما استخلصه من قوله تعالي ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[٣] من صحة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ ؛ فيقول:" يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصديق ﷺ ؛ لأنه داخل فيمن أمرنا الله في السبع المثاني والقرآن العظيم - أعني الفاتحة - بأن نسأله أن يهدينا صراطهم . فدل ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم ... وقد بين الذين أنعم عليهم ، فعد منهم الصديقين[٤]. وقد بين ﷺ أن أبا بكر ﷺ من الصديقين[٥] ، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم الله عليهم، الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى صراطهم، فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق ﷺ على الصراط المستقيم ، وأن إمامته حق" [٦].

٨- ومن عنايته بالاستنباطات التاريخية ما استنبطه من قوله تعالى ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾[٧] مِن أَن مَن عاش فيَ الفترة الزمنية بين آدم ونوح عليهما السلام، فقد عاش على الإسلام. وهذا يُفهم من تقييد الإهلاك بما بعد نوح عليه

(١) سورة الأعراف، من الآية ١٨٥
(٢) ينظر: أضواء البيان، ١٦٣/٢
(٣) سورة الفاتحة، من الآية ٧
(٤) إشارة إلى قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ) [سورة النساء/٦٩]
(٥) شواهد صديقية أبي بكر ﷺ في السنة كثيرة؛ منها قوله ﷺ "إن من أمَنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، ١٧٧/١، برقم: ٤٥٤
(٦) ينظر: أضواء البيان، ٨/١
(٧) سورة هود، ٦٩

السلام[١]. ويؤيد هذا الاستنباط قول الإمام ابن كثير - وهو المفسر المؤرخ - في تفسير قوله تعالى﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٢]: "لأن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام ، حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحًا عليه السلام، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض"[٣].

٩- ومن عنايته بالاستنباطات المتعلقة بالآداب والأخلاق ما استنبطه من قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾[٤] من الآداب الشرعية للضيافة[٥].

المطلب الخامس: جهود الشنقيطي التجديدية في التفسير البياني :

يتجلى إسهام الشنقيطي التجديدي في قضايا التفسير البياني متمثلا في قضية المجاز ؛ ذلك أنه أحيا هذه القضية في القرن الرابع عشر الهجري، عندما صنف كتابًا في نفي وقوع المجاز، فأعاد القضية للمناقشة والدرس التفسيري، وهذا ما يقرره الدكتور عبدالعظيم المطعني إذ يقول: "بعد عَصْرَي الإمام ابن تيمية وابن القيم بنهاية النصف الأول من القرن الثامن الهجري، توقف الجدل حول إنكار المجاز، فلم يعُدْ أحد متحمسًا لإنكاره، ولا أحد كتب في إنكاره مصنفًا منفردًا، ولا أعلن رأيًا ولو مختصرًا فيه يفيد إنكاره للمجاز، بيد أن بعض الكاتبين في علوم اللغة كالإمام السيوطي، أو علوم القرآن كبدر الدين الزركشي حكوا الخلاف السابق فيه، وكذلك صنع مثلهما علماء أصول الفقه.

وقد أطبقوا جميعًا على حكاية الخلاف، وذكر شبهات المنكرين ثم الرد عليها، معلنين في النهاية إقرارهم بوقوع المجاز في القرآن الكريم خاصة ... وظل السكوت عن إنكار المجاز طوال خمسة قرون ونصف القرن من وفاة ابن القيم إلى أن وضع الشنقيطي رسالة في منع المجاز في القرآن، في غضون القرن

(١) ينظر: أضواء البيان، ٣/٨٠
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١٣
(٣) تفسير ابن كثير، ١/٢٥١
(٤) سورة هود، ٦٩
(٥) ينظر: أضواء البيان، ٢/١٨٦

الثالث عشر الهجري[١]، أطلق عليها منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز"[٢].

وقضية المجاز من القضايا التي اختلف فيها العلماء أخذًا وردًا، بين مانع ومجيز ومفصل، فمنهم من قال بنفي وقوع المجاز في اللغة والقرآن، ومنهم من قال بوقوعه في اللغة والقرآن، ومنهم من أجازه في اللغة دون القرآن[٣]. وقد عدّ الإمام الفذ ابن قدامة المقدسي الخلاف في قضية المجاز خلافا لفظيًا[٤].

هذا ولا يتسع مقام ا لبحث لمناقشة قضية المجاز وإطالة النفس في تحرير مسائلها الخلافية وتفصيل القول فيها؛ فمثل هذا الأمر يحتاج إلى استقصاء جوانب القضية في أسسها اللغوية والبلاغية ومتعلقاتها العقدية والأصولية وأثر ذلك في التفسير، في بحث مستقل، فأرجو الله تعالى أن يوفقني إلي ذلك؛ فإن القضية لا زالت بكرًا، لا سيما ما يتعلق منها بالتفسير وأصوله.

غير أنه من الأهمية بمكان ـ في سياق هذا البحث ـ أن نرتكن إلى ضابط يشفي الغليل ، ويُرجع إليه عند الاختلاف في التفسير بسبب حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز؛ بحيث يفتح الباب أمام تدبر القرآن وتذوق جماليات أسلوبه وإعجازه البلاغي، ويغلقه أمام التجرؤ على التأويل في القرآن بغير دليل والقول في كتاب الله تعالى بغير علم أو تعطيل صفات الله تعالى؛ تذرعًا بالمجاز.

فالواجب التزام الاستعمال الصحيح لألفاظ الكتاب والسنة من حيث الحقيقة والمجاز؛ وذلك بحملها على بيان النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، ثم على اللغة والعرف السائدَين وقت نزول الخطاب القرآني، ولا يصح حملها على دلالات أو اصطلاحات حدثت فيما بعد؛ إذ إن بيان الشارع الحكيم لألفاظ الكتاب والسنة وحدود مسمياتها لا يجوز معه العدول إلى بيان آخر[٥]. كما أنه

---

(١) ولد الإمام محمد الأمين الشنقيطي سنة ١٣٢٥هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ، فهو من أعلام القرن الرابع عشر (ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ١٧١/١، وترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، د.عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، ص ١٧٨).

(٢) المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ص ٥١

(٣) ينظر: مجموع الفتاوي، لابن تيمية، ٨٩/٧ ، وإرشاد الفحول ، للشوكاني، ص ٥١ ، والإتقان ، للسيوطي، ٩٧/٢.

(٤) ينظر: روضة الناظر ،لابن قدامة، ص ٦٤.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوي، ٢٨٦/٧ وما بعدها، ٢٣٦/١٩ وما بعدها.

يجب تنزيه صفات الله تعالى عن القول بوقوع المجاز فيها؛ فهي من الغيب الذي لا نعلم كيفيته، فهو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وعلى أية حال ، فإن الدور التجديدي الاجتهادي للإمام الشنقيطي يمثل فصلا مهمًا في سياق قضية المجاز وإشكالاتها ومنطلقاتها المختلفة.

***

المبحث الثالث

التجديد التفسيري عند الأمين الشنقيطي

من خلال تنزيل الآيات على الواقع

سبق بيان أن تنزيل الآيات على الواقع من ألزم عناصر التجديد في التفسير، وذلك عند الكلام على مفهوم التجديد التفسيري في الفصل الأول، غير أن الدراسة أفردتْ له مبحثا مستقلا؛ تنبيهًا على أهميته؛ تساوقا مع الأسلوب القرآني الحكيم في مثل قوله تعالى ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[1]. ذلك أن تنزيل الآيات على الواقع أحد أهم ألوان التفسير التي تبرَز اجتهاد المفسر في الحكم على الواقع من خلال معاني الوحي وهداياته. علاوة على أن هذا اللون التفسيري يغفل عن أهميته كثير من الباحثين، فلم يأخذ حقه الكافي من البحث والدرس والتحليل.

وبين يدَي جهود الإمام الشنقيطي في تنزيل الآيات على الواقع، وما تناوله من قضايا معاصرة في التفسير ؛ يجدر بي أولا أن أعرج على تأصيل مسألة تنزيل الآيات على الواقع، من خلال هذا المطلب.

المطلب الأول : تنزيل الآيات على الواقع ؛ مفهومه وفوائده ووجه الحاجة إليه :

[أولا] – مفهوم (تنزيل الآيات على الواقع) :

من مقتضيات تدبر القرآن العظيم معايشة هداياته في أرض الواقع، والحياة معه وبه ؛ فهو منهج حياة شامل يضبط كافة شؤون الإنسان، فتنزيل الآيات على الواقع من لوازم تدبر القرآن؛ يقول الإمام الآجري مقررًا هذا المعنى في معرض كلامه عما يجب على قارئ القرآن :"... وإذا درسَ القرآنَ فبحضور وفهم

(١) سورة البقرة، ٩٨

وعقل؛ همّته إيقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر والانتهاء عما نهى وزجر"[١].

ولقد عني العلماء بالبعد التنزيلي للآيات والأحكام، لا سيما في الدرسَين الفقهي والأصولي، كما عني به المفسرون ؛ إيمانًا منهم بأن هدايات القرآن وتشريعاته صالحة لكل زمان ومكان، وافية بحاجات كل عصر، وبها علاج كل حادث يطرأ في حياة الناس ؛ علمه من علمه، وجهله من جهله؛ إذ إنه " لا حادثة إلا ولله فيها حكم اشتمل القرآن على بيانه"[٢].

غير أن المفسرين لدى عنايتهم بتنزيل الآيات على الواقع إنما قصدوا تقريب هدايات القرآن ليسهل على الناس تمثلها في أمور حياتهم، فلم يعمدوا إلى استقصاء وقائع زمانهم في كل آية من القرآن، فكانت عنايتهم بتنزيل الآيات على الواقع من باب التقريب والتمثيل لا الحصر والاستقصاء.

أما الحد التعريفي لمصطلح (تنزيل الآيات على الواقع) فلم أقف على قول فيه لأحد المفسرين القدماء أو المعاصرين؛ فهو مصطلح حديث الاستعمال، وإن كان معناه قديمًا، إلا أنني وقفت على بحث للدكتور عبد العزيز الضامر يحمل عنوان: (تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين) ويعرفه بقوله: "هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية"[٣].

وهذا التعريف وإن كان جامعًا لأنواع المقابلة بين الآيات والوقائع؛ إلا أنه ليس مانعًا محترزًا من ليّ أعناق دلالة الآيات وحملها على وقائع بعينها، بدافع الهوى أوالتعصب، دون مناسبة معتبرة من جهتي الشرع والواقع.

ذلك أن تنزيل الآيات على الواقع يتطلب أمرين؛ أحدهما من جهة علوم الشرع ويتمثل في ملكة استقراء وجه المناسبة التي تربط بين الوقائع ودلالة الآيات، وبهذا الاستقراء يتبين للمفسر دخول الواقعة في دلالة بعينها للآية من عدمه. فلا يعتبر كل حمل للآيات على المستجدات تنزيلا، ما يلم يتحقق بذلك.

---

(١) أخلاق أهل القرآن، للآجري، ص٧٩

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، ٢٥/٥

(٣) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الضامر، ص ٣٣

والثاني من جهة الواقع متمثلا في دراية المفسر التامة بواقع عصره والوقوف على أحداثه وما يكتنفها من ملابسات. ففهم دلالة الآيات يبقى في حيز النظر، ولا تتم سلامة تنزيلها إلا بدراية واعية للوقائع بمكوناتها وظروفها، وتبصّر بما عسى أن يسفر عنه ذلك التنزيل من نتائج(١).

وعليه فإن تنزيل الآيات على الواقع لابد فيه من أمرين: التبصر التام بمرادات الوحي، والدراية التامة بأحوال الناس وواقعهم.

ومن هنا يمكن تعريف تنزيل الآيات على الواقع بأنه: ربط دلالة الآيات بحادثة معاصرة في زمن المفسر، لمناسبة بينهما معتبرة في الشرع والواقع؛ سواء كان الربط تامًا أو جزئيًا أو بمخالفة الواقع لما عليه الآيات.

[ثانيًا] – فوائد تنزيل الآيات على الواقع ووجه الحاجة إليه :

من فوائد تنزيل الآيات على الواقع وبواعث أهميته كونه من مقتضيات تدبر القرآن العظيم وفهمه، فبه يظهر من المعاني مالا يحصل بمجرد التلاوة والاستنباط ؛ ذلك أن التنزيل يعنى بمعايشة الآيات واقعًا حيًا، فهو التفسير العملي للقرآن الكريم، ولعل هذا ما عناه الأستاذ أحمد أمين حين يقول واصفًا طريقة الأستاذ الإمام محمد عبده في التفسير : "كان يقرأ الآية ؛ فإذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحًا وافيًا، عارضًا ما ورد في القرآن في موضوعها، مبينًا ما دخل على المسلمين في هذه العقيدة من فساد ودخيل، وإذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان أثر هذا الخلق في صلاح الأمم وضياعه في فسادها، وإذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الأمم، مسترشدًا بالواقع ... فهو تفسير عملي؛ يشرح الواقع ويبين سببه"(٢).

وقد أنكر الإمام ابن القيم على من يظن أن الأحداث والوقائع لا تدخل تحت دلالة نصوص القرآن، أو أن تلك النصوص تنحصر دلالتها في زمن قد انتهى، فيقول رحمه الله معلقًا على قوله تعالى﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾(٣): "فكفى بهذه الآية نورًا

(١) ينظر: المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، د. محمد فتحي الدريني، ص ١٢- ١٣

(٢) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ص ٣٢٩

(٣) سورة سبأ، ٢٢

وبرهانًا ونجاة وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن"[١].

ومن فوائد تنزيل الآيات على الواقع وأوجه الحاجة إليه: استثمار النص القرآني والاستهداء به في حل قضايا الواقع وتحدياته، ومرجع ذلك إلى "أن القرآن إذ اتخذ في بيانه للأحكام المنهج الكلي لا التفصيلي؛ لزم أن يكون الاجتهاد بالرأي هو السبيل الوحيد الذي لا مناص منه للاضطلاع بمهمة التطبيق الواقعي لتلك الكليات على الوقائع الجزئية التي تنتاب المجتمع في كل عصر وبيئة، بما يحتفّ بها من ظروف وملابسات متجددة ومتغايرة لا تنحصر"[٢].

ومن فوائد تنزيل الآيات على الواقع كذلك التأكيد على عموم الخطاب القرآني لمن بلغه، فلا يقتصر الخطاب القرآني على عصر نزول القرآن، وهذا من المعلوم من الدين بالضرورة. وإلى ذلك يستند العلامة ابن القيم عندما يتعقب بعض المفسرين إذ يعتبرون أن قوله تعالى﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[٣] خاص بالكفار، وأنهم هم المسؤولون عن النعيم. فبعد أن يورَد الأدلة من السنة على عدم اختصاص الخطاب بالكفار في الآية، يستشهد بالواقع منطلقًا من قاعدة عموم الخطاب القرآني لمن بلغه، فيقول :"وأيضًا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرًا بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر. وخطاب القرآن عام لمن بلغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله ﷺ ؛ فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين. فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[٤] ونظائره كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين"[٥].

(١) بدائع التفسير ، لابن القيم، ٣٤١/٢
(٢) بحوث فقهية مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، د. فتحي الدريني، ٣٨/١
(٣) سورة التكاثر، ٨
(٤) سورة البقرة، من الآية ١٨٣
(٥) بدائع التفسير ، ٣٦٠/٣

المطلب الثاني : أبرز القضايا المعاصرة التي عني الشنقيطي بتنزيل الآيات عليها :

[أولا] – قضايا علوم القرآن:

من مقاصد تنزيل الآيات على الواقع ربط الناس بكتاب الله تعالى وحثهم على العمل به. ومن شواهد ذلك عند الإمام الشنقيطي: ترغيب قارئ القرآن في تدبر واستنباط معاني القرآن؛ لا سيما وقد أتيح من علوم القرآن في هذا الزمان ما يعين على ذلك. يقول رحمه الله معلقًا على قوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] مخاطبًا قارئ القرآن: "ولتعلم أن تعلم كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ في هذا الزمان أيسر منه بكثير في القرون الأولى؛ لسهولة معرفة جميع ما يتعلق بذلك، من ناسخ ومنسوخ وعام وخاص، ومطلق ومقيد، ومجمل ومبين، وأحوال الرجال، من رواة الحديث والتمييز بين الصحيح والضعيف، لأن الجميع ضُبط وأتقن ودوّن، فالجميع سهل التناول فكل آية من كتاب الله قد علم ما جاء فيها من النبي ﷺ ثم من الصحابة والتابعين وكبار المفسرين، وجميع الأحاديث الواردة عنه ﷺ حفظت ودونت، وعلمت أحوال متونها وأسانيدها وما يتطرق عليها من العلل والضعف"[2].

[ثانيًا] – القضايا العقدية:

ومن الجهود التجديدية للإمام الشنقيطي في التفسير عنايته بتنزيل آيات العقيدة على الواقع المعاصر، وهذا أوْلى ما ينبغي أن يعنى به المجددون في كل عصر؛ إذ العقيدة أصل الدين ، فلا دين إلا بها. وتبرز أهمية هذا الدور التجديدي مع ظهور الفرق الضالة والمذاهب الهدامة التي تنحرف عن نهج الكتاب والسنة.

ومن أبرز ما عنى الشنقيطي بتنزيل الآيات عليه في قضايا العقيدة : الانحرافات العقدية عند بعض الطرق الصوفية، وقد اتسم تنزيله بالموضوعية والواقعية والإنصاف؛ نرى ذلك في مواضع متعددة، منها ما بينه في معرض كلامه على قصة السامريّ وإضلاله بني إسرائيل بعبادة العجل، وذلك في بيان قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ

(١) سورة محمد، ٢٤
(٢) أضواء البيان، ٢٦٤/٧

﴿رَبُّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠﴾[١]. فينقل ما أورده القرطبي عن أبي بكر الطرطوشي من أن "مذهبَ الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأما الرقص والتواجد، فأول من أحدثه أصحاب السامريّ، لما اتخذ لهم عجلا جسدًا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون"[٢]. ثم يعقب على ذلك القول منصفًا الصوفية الحقة ومنزلا ذلك على أحوال من ينتسبون للطرق الصوفية في عصره مبينا انحراف غالبهم عن المنهج الصوفي القويم المنتظم في سلك الكتاب والسنة، فيقول:" ولا شك أن منهم من هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم وحرسوها ، وراقبوها وعرفوا أحوالها ... فالحكم بالضلال على جميع الصوفية لا ينبغي ، ولا يصح على إطلاقه ، والميزان الفارق بين الحق والباطل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... نعم؛ صار المعروف في الآونة الأخيرة، أن عامة الذين يدّعون التصوف في أقطار الدنيا إلا من شاء الله منهم دجاجلة يتظاهرون بالدين ليضلوا العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم ، ليتخذوا بذلك أتباعًا وخدمًا ، وأموالا وجاهًا ، وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحق ، لا يعملون بكتاب الله ، ولا بسنة نبيه. فمن كان عمله مخالفا للشرع كمتصوفة آخر الزمان فهو الضال، ومن كان عمله موافقا لما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام فهو المهتدي"[٣].

ومن تنزيله الآيات على الواقع في قضايا العقيدة ما بينه من أن توقع الأرصاد الجوية أحوال الطقس والفلك ليس من الرجم بالغيب، وذلك في تعليقه على قوله تعالى ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٤]. فيبين رحمه الله اختصاص الله تعالى بعلم الغيب، ويذكر جانبًا من الانحرافات العقدية في ادعاء علم الغيب؛ كالتنجيم والكهانة والتطير ونحو ذلك من الأمور التي يراد بها الاطلاع على الغيب، ويستثنى من ذلك العادات والقوانين التي يجريها الله تعالى بقدرته لتكون علامة على حصول الأشياء، فالعلم بهذه العادات والقوانين وتوقع ما يترتب عليها ليس من ادعاء علم الغيب.

(١) سورة طه، ٩٠
(٢) أضواء البيان، ٨٨/٤
(٣) المصدر نفسه، ٨٨/٤- ٨٩
(٤) سورة الأنعام، من الآية ٥٩

ثم ينزل هذا المعنى على الواقع المعاصر، فيقول:" أما الذين يقولون إن في اليوم الفلاني ستكسف الشمس ويخسف القمر، فعامة العلماء على أن هؤلاء لا يُكفرون؛ لأن هذا شيء قد يدرك بالحساب، لأن الله يقول في قضية القمر ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾[١]. ويقول فيه ﴿ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾[٢][٣].

وقد فصل القول في ذلك العلامة رشيد رضا إذ يقول "وأما ما يعلمه البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها، ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب، أو عجزهم عن استعمالها، فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله تعالي. وهذه الأسباب منها ما هو علمي كالدلائل العقلية والعلمية، فإن بعض علماء الرياضيات وغيرها يستخرجون من دقائق المجهولات ما يعجز عنه أكثر الناس، ويضبطون ما يقع من الخسوف والكسوف بالدقائق والثواني قبل وقوعه بالألوف من الأعوام، ومنها ما هو عملي كالتلغراف الهوائي أو اللاسلكي الذي يعلم المرء به بعض ما يقع في أقاصي البلاد وأجواز البحار التي بينه وبينها ألوف من الأميال"[٤]. وبهذا يتبين أنه لا يدخل في ادعاء علم الغيب الأمور التي يُتوقع حدوثها بالقرائن والعادات التي أجراها الله تعالي علي الأشياء، وبالقوانين الطبيعية التي نظم الله بها شؤون الكون والمخلوقات.

ومن تنزيل الشنقيطي الآيات على الواقع في قضايا العقيدة ما بينه من فساد المذاهب الفكرية المنحرفة في العصر الحديث كالاشتراكية، وذلك لدى تعرضه لقوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾[٥] فيقول: "وهذه الآية الكريمة نص صريح في إبطال مذهب الاشتراكية القائل بأنه لا يكون أحد أفضل من أحد في الرزق"[٦]. فالله تعالى هو خالق الخلق، ومَن بيده الرزق، أراد بحكمته أن يفضل بعض الناس على بعض في الرزق، ومن شواهد هذه الحكمة

(١) سورة يس، من الآية ٣٩
(٢) سورة يونس، من الآية ٥
(٣) العذب النمير، ٣٩٩/١
(٤) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٧/ ٤٢٢- ٤٢٣
(٥) سورة النحل، من الآية ٧١
(٦) أضواء البيان، ٤١١/٢

الإلهية البالغة قوله تعالى﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[١].

[ثالثًا] – القضايا التشريعية :

يعنى العلامة الشنقيطي في تفسيره كثيرًا ببيان عظمة التنشريع الإسلامي، وأنه تشريع الخالق العظيم الذي يعلم ما يصلح خلقه وما يفسدهم، كما يحرص رحمه الله على الذود عن حياض التشريع الإسلامي، والتحذير من محاولات تشويهه من قبل أعداء الإسلام. وفي أثناء ذلك ينزل آيات التشريع على الوقائع المعاصرة؛ إيضاحًا وإرشادًا واستشهادًا.

ومن نماذج هذا التنزيل، على سبيل التمثيل: تحذيره من اتباع مشرعي القوانين التي تحاد شرع الله تعالى، وذلك في معرض بيانه لقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾[٢] فيبين أن مشرعي القوانين التي تحاد شرع الله تعالى كارهين لما نزل الله تعالى من تشريع، ثم ينزل هذا المعنى على الواقع المعاصر محذرًا المسلمين من اتباع مشرعي هذه القوانين سواء كانوا من الغرب أو الشرق، فيقول: "اعلم أن كل مسلم، يجب عليه في هذا الزمان تأمل هذه الآيات من سورة محمد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد ؛ لأن كثيرًا ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله محمد ﷺ وهو هذا القرآن وما يبينه به النبي ﷺ من السنن. فكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية ... فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا سنطيعكم في بعض الأمر"[٣].

ومن دقيق فهم الإمام الشنقيطي وعميق فقهه وحسن استقرائه لمعطيات واقعه أنه يفرق في هذه القضية بين الأمور الشرعية والأمور الإدارية ؛ ففي معرض بيان قوله تعالى ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[٤] يورد

(١) سورة الزخرف، من الآية ٣٢
(٢) سورة يس، من الآية ٣٩
(٣) أضواء البيان ،٣٨٣/٧
(٤) سورة يس، من الآية ٣٩

بعض الآيات التي تدل على هذا المعنى، ثم يقرر " أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته ، وأعماه عن نور الوحي مثلهم". ثم يفرق في ذلك بين الأمور الشرعية والإدارية، فيقول: "اعلم أنه يجب التفصيل بين النظام الوضعي الذي يقتضي تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض، وبين النظام الذي لا يقتضي ذلك. وإيضاح ذلك أن النظام قسمان : إداري ، وشرعي؛ أما الإداري : الذي يراد به ضبط الأمور وإتقانها على وجه غير مخالف للشرع ، فهذا لا مانع منه ، ولا مخالف فيه من الصحابة فمَن بعدهم، وقد عمل عمرﷺ من ذلك أشياء كثيرة ما كانت في زمن النبي ﷺ ؛ ككتبه أسماء الجند في ديوان لأجل الضبط ومعرفة من غاب ومن حضر ... فمثل هذا من الأمور الإدارية التي تفعل لإتقان الأمور مما لا يخالف الشرع لا بأس به ، كتنظيم شئون الموظفين، وتنظيم إدارة الأعمال على وجه لا يخالف الشرع ، فهذا النوع من الأنظمة الوضعية لا بأس به، ولا يخرج عن قواعد الشرع من مراعاة المصالح العامة"(١).

قلت- الباحث: ويجب كذلك عند تنزيل الآيات على هذه القضية؛ الحذر من تكفير الناس بدعوى تحكيمهم ما يخالف شرع الله. فيجب التفريق بين اتباع القوانين الوضعية فيما يخالف شرع الله تعالى جحودًا لأحكام الشرع وإنكارًا لمعلوم من الدين بالضرورة وادعاءً أن ذلك هو شرع الله، وبين اتباع القوانين الوضعية فيما يخالف شرع الله تعالى عن هوى وذنب، من غير جحود وإنكار؛ فالأول جحود وإنكار وتبديل يوجب الكفر، والثاني معصية وفسق. وقد بيّن ذلك الإمام ابن الجوزي، إذ يقول: "وفصل الخطاب أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا له، وهو يعلم أن الله أنزله؛ كما فعلت اليهود؛ فهو كافر. ومن لم يحكم به ميلاً إلى الهوى من غير جحود؛ فهو ظالم فاسق"(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض بيان قوله تعالى﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ

(١) أضواء البيان، ٢٦٠/٣
(٢) زاد المسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ٣٦٦/٢

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾[١] "فمن لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم؛ فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزمًا لحكم الله ورسوله باطنًا وظاهرًا، لكن عصى واتبع هواه؛ فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة. وهذه الآية مما يحتج به الخوارج على تكفير ولاة الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله" [٢].

ومن نماذج تنزيل الآيات على الواقع في القضايا التشريعية عند الشنقيطي : قضية تعدد الزوجات، ويتناول هذه القضية استشهادًا في معرض بيان معاني قوله تعالى ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٣]، مبينًا بعض الجوانب التشريعية التي من شأنها تحقيق صالح الإنسان ، فذكر أن من هدي القرآن إلى التي هي أقوم إباحته تعدد الزوجات إلى أربع، وبيّن جوانبا من الحكمة التشريعية في ذلك.

والشنقيطي في ذلك لم يكن بمعزل عمّا يدور في واقعه المعاصر من محاولات النيل من عظمة التشريع الإسلامي والتشكيك فيه من قِبل الملحدين والمستشرقين ومن يحذو حذوهم، بل حرص على كشف شبهاتهم ودحضها بالعقل والشرع؛ فيقول رحمه الله: "وما يزعمه بعض الملاحدة من أعداء دين الإسلام من أن تعدد الزوجات يلزمه الخصام والشغب الدائم المفضي إلى نكد الحياة لأنه كلما أرضى إحدى الضرتين سَخطت الأخرى فهو بين سخطتين دائماً، وأن هذا ليس من الحكمة: فهو كلام ساقط، يظهر سقوطه لكل عاقل؛ لأن الخصام والمشاغبة بين أفراد أهل البيت لا انفكاك عنه ألبتة، فيقع بين الرجل وأمه، وبينه وبين أبيه، وبينه وبين أولاده، وبينه وبين زوجته الواحدة، فهو أمر عادي ليس له كبير شأن، وهو في جنب المصالح العظيمة التي ذكرنا في تعدد الزوجات من صيانة النساء، وتيسير التزويج لجميعهن، وكثرة عدد الأمة لتقوم بعددها الكثير في وجه أعداء الإسلام: كلا شيء؛ لأن المصلحة العظمى يُقدَّم جلبها على دفع المفسدة الصغرى ... فالقرآن أباح تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج، ولمصلحة الرجل بعدم تعطل منافعه في حال قيام العذر

(١) سورة النساء، ٦٥
(٢) منهاج السنة، لابن تيمية، ١٣١/٥
(٣) سورة الإسراء، من الآية ٩

بالمرأة الواحدة ... فهو تشريع حكيم خبير، لا يطعن فيه إلا من أعمى الله بصيرته"[١].

[رابعًا] – القضايا الاقتصادية :

وللشنقيطي في معالجاته التفسيرية نظرة للواقع المعاصر في قضايا الاقتصاد والمعاملات المالية؛ تنبيهًا على أهمية الاقتصاد في حياة المسلمين في عصرنا الحاضر، وإيضاحًا لأوجه المعاملات المالية الشرعية حتى لا يقع المسلم المعاصر في المحرم وهو لا يدري، وانتقادًا لصور المعاملات المالية المحرمة في واقعنا المعاصر.

ومن نماذج ذلك ما يبينه من أوجه الفساد في بعض المعاملات المالية المعاصرة، وذلك في تعقيبه على قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[٢]، فيقول رحمه الله: "ولا شكَّ أنه يلزم المسلمين في أقطار الدنيا التعاون على اقتصاد يجيزه خالق السماوات والأرض، على لسان رسوله ﷺ، ويكون كفيلاً بمعرفة طرق تحصيل المال بالأوجه الشرعية ، وصرفه في مصارفه المنتجة الجائزة شرعًا ؛ لأن الاقتصاد الموجود الآن في أقطار الدنيا لا يبيحه الشرع الكريم، لأن الذين نظموا طرقه ليسوا بمسلمين، فمعاملات البنوك والشركات لا تجد شيئًا منها يجوز شرعًا، لأنها إما مشتملة على زيادات ربوية ، أو على غرر، لا تجوز معه المعاملة كأنواع التأمين المتعارفة عند الشركات اليوم في أقطار الدنيا، فإنك لا تكاد تجد شيئًا منها سالمًا من الغرر، وتحريم بيع الغرر ثابت عن النبيّ ﷺ، ومن المعلوم أن من يدّعي إباحة أنواع التأمين المعروفة عند الشركات، من المعاصرين أنه مخطئ في ذلك، ولأنه لا دليل معه بل الأدلة الصحيحة على خلاف ما يقول، والعلم عند الله تعالى"[٣].

وينبه رحمه الله على ضرورة اتباع الشرع في أوجه اكتساب المال وأوجه صرفه، واجتناب المذاهب الاقتصادية الفاسدة ، وذلك في معرض بيان قوله

(١) أضواء البيان، ٢٣/٣
(٢) سورة الفرقان، ٦٧
(٣) أضواء البيان، ٧٩/٦

تعالى﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾[١] فيقول رحمه الله: "وبهذه النظرة أن تنظر في وجه اكتساب المال وفي وجه صرفه في مصرفه إذا عرضتها على ضوء القرآن، وما جاء به محمد ﷺ كفاك هذا من الفِكر الهدامة، والمذاهب المفقرة الخسيسة كنظرة الماركسيين، واللينيّين، وأتباعهم - دمرهم الله جميعًا- فإن هذا إذا عرضته على كتاب الله وجدت ذلك الذي يدعون إليه ويبنون عليه نحلتهم لا يجيزه الله ولا يرضاه"[٢].

ثم يبين ضرورة الاستعانة بأهل الاختصاص من الخبراء الاقتصاديين في كيفية تنفيذ صرف المال على الوجه المطلوب، وبخاصة في المشاريع العامة التي تخدم عموم الأمة، فيقول : "وكذلك الصرف في المصارف يحتاج إلى من يقدر عليه؛ لأن بعض المصارف لا يقدر كل الناس أن يقوم به، ولا سيما ما يسمونه (المشاريع العامة) فإنه ما كل الناس يقدر على تنفيذها، فإن المشروع العام الذي عُرف أن الشرع يجيزه، وأن فيه مصلحة لجميع المسلمين، وأن ولي أمر المسلمين إذا بذل فيه من مال المسلمين كان ذلك البذل جائزًا، لِعِظم المصلحة العائدة لعامة المسلمين منه، فإنه يحتاج إلى خبراء دنيويين يعرفون كيف ينفذون ذلك الصرف على الوجه المطلوب"[٣].

وفي السياق نفسه يبين رحمه الله أهمية أن يكون للمسلمين اقتصاد قوي، يسيرون فيه على هدي الكتاب والسنة، فيقول رحمه الله :" ولو وفق الله المسلمين ونظروا في أصول الاقتصاد، وما جاء به من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لأمكنهم استغلال ثرواتهم، والانتفاع بها في ضوء كتاب الله، على طريق يغمرهم فيها المال، ولا يزاولون ما يُسخط ربهم جل وعلا"[٤].

[خامسًا] – القضايا الحضارية :

وهذه القضايا من أكثر القضايا التي عني الشنقيطي بتنزيل الآيات عليها، فيعنى بإبراز جوانب العظمة في الحضارة الإسلامية، ويناقش القضايا الحضارية المختلفة كالغزو الثقافي والعولمة، ويشخص العلل الحضارية التي حلت

(١) سورة الأنفال، من الآية ٣٦
(٢) العذب النمير، ٥٩٩/٤
(٣) المصدر نفسه، ٥٩٩/٤
(٤) المصدر نفسه، ٦٠٠/٤

بالمسلمين في الآونة الأخيرة؛ مبينًا مكمن الداء والدواء، كما يتناول ضوابط التفاعل الانتقائي مع الحضارة الغربية.

فنجده رحمه الله يؤكد ضرورة التنبه إلي معيار التمييز بين النافع والضار في الحضارة الغربية، فيقول "إن الاستقراء التام القطعي دل على أن الحضارة الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار: أما النافع منها فهو من الناحية المادية وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبينه. وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور، فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة ... وأما الضار منها: فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير، ولا خير البتة في الدنيا بدونها، وهي التربية الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه. وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السَّماوي الذي يوضح للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكمية في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة، ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته. فالحضارة العربية غنية بأنواع المنافع من الناحية الأولى، مفلسة إفلاسًا كليًا من الناحية الثانية. ومعلوم أن طغيان المادة على الروح يهدد العالم أجمع بخطر داهم، وهلاك مستأصل، كما هو مشاهد الآن"(١).

ثم يفصل رحمه الله الموقف من الحضارة الغربية على هذا النحو :" والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحل الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصرًا عقليًا لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها.

الثاني: أخذها كلها ضارها ونافعها.

الثالث: أخذ ضارها وترك نافعها.

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارها.

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة، فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك، وواحدًا صحيحًا بلا شك.

أما الثلاثة الباطلة: فالأول منها تركها كلها، ووجه بطلانه واضح، لأن عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم، والتواكل والتكاسل، ويخالف الأمر السماوي في قوله جل وعلا ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾(٢).

(١) أضواء البيان، ٥٠٥/٣

(٢) سورة الأنفال، من الآية ٦٠

والقسم الثاني من الأقسام الباطلة: أخذها؛ لأن ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع الروحية والمثل العليا للإنسانية، أوضح من أن أبينه. ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء، وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[١]... والقسم الثالث من الأقسام الباطلة: هو أخذ الضار وترك النافع، ولا شك أن هذا لا يفعله من له أقل تمييز. فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار"[٢].

ويحذر الإمام الشنقيطي المسلمين من الافتتان بالحضارة المادية الغربية ، فيقول لدي تعرضه لقوله تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٣]: "إن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها واختلاف أنواعها، مع عجز المسلمين عن ذلك ، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق ، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق ، وهذا جهل فاحش ، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة وتخفيف لشأنها أنزله الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة ، فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه ، وما أعظمه ، وما أحسن تعليمه .فقد أوضح جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أكثر الناس لا يعلمون ، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولا أوليًا، فقد نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل ... واعلم أن المسلمين يجب عليهم تعلم هذه العلوم الدنيوية، وهذه العلوم الدنيوية التي بينا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلمها المسلمون ، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقًا لما أمر الله به، على لسان نبيه ﷺ : كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جل وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة "[٤].

كما يحرص الشنقيطي لدى تنزيله الآيات على القضايا الحضارية التي عاصرها، على رد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام وأذنابهم، في ظل التقدم

(١) سورة يونس، من الآية ٥٩
(٢) أضواء البيان، ٥٠٥/٣-٥٠٦
(٣) سورة الروم، ٦-٧
(٤) أضواء البيان، ١٦٦/٦

المادي في الغرب، وما يواكب ذلك من تراجع حضاري في ديار المسلمين في الآونة الأخيرة، حتى قال البعض بلسان الحال والمقال :"إن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من الإسلام"(١) ، كما خيّل أعداء الإسلام إلى بعض ضعاف النفوس والعقول "أن التقدم والتمسك بالدين متباينان تباين مقابلة؛ بحيث يستحيل اجتماعهما"(٢).

فينبري الشنقيطي لدفع شبهاتهم ودرء حججهم الباطلة في مواضع متعددة ، ومن ذلك قوله رحمه الله: "دين الإسلام الذي نتكلم باسمه - الذي هو تشريع رب العالمين جل وعلا - لا يمكن أن يكون صخرة تعثر في طريق التقدم، بل هو دين كل تقدم في كل ميادين الحياة، فدين الإسلام يدعو إلى التقدم والقوة في جميع ميادين الحياة، فما يخيله الإفرنج من أنه دين ركود وجمود ودعة وإخلاد إلى الأرض، وأن المتمسك به لا يمكن أن ينهض، ولا يساير ركب الحضارة، كلها فلسفات شيطانية لا أساس لها، تروّج على ضعاف العقول. أما دين الإسلام فهو في حقيقة ذاته دين التقدم في جميع الميادين الحيوية، فيدعو إلى كل تقدم في جميع الميادين الحيوية ... وهو مساير للتطور مهما بلغ التطور، ولو مما لا يتصوره الإنسان"(٣).

ويزيد الأمر إيضاحًا في موضع آخر فيقول : " والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين ، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين ، والتحلي بآدابه الكريمة ، وتعاليمه السماوية ؛ قال تعالى﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٤)... فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأوَل إذا طرأ تطور جديد ، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين"(٥).

وفي سياق كلامه عن التراجع الحضاري للمسلمين في عصرنا الراهن يعرض الشنقيطي حالة الضعف التي تمر بها الأمة الإسلامية بين الأمم ؛ مشخصًا الداء وأسبابه، ومبينًا الدواء وطرقه في ضوء الكتاب والسنة. فيتناول رحمه الله شقين

(١) أضواء البيان، ٣٧/٣
(٢) المصدر نفسه، ٣٩/٣
(٣) العذب النمير، ٢٣٢/٣
(٤) سورة الأنفال، من الآية ٦٠
(٥) أضواء البيان، ٣٨/٣

متكاملين متلازمين: شق إيماني روحي وشق مادي حضاري ؛ انطلاقا من أن التمسك بتعالم الدين وهداياته والأخذ بأسباب القوة والتقدم المادي صنوان في الإسلام.

فيبين رحمه الله أهمية التلازم بين الأخذ بأسباب التقدم المادي ومسايرة تطورات العصر التقنية وبين امتثال تعاليم ديننا الحنيف، وذلك في معرض كلامه عن الأخذ بأسباب القوة المادية منزلا ذلك على الواقع المعاصر ، فيقول:"أما الآن فقد تطورت الحياة عن ذلك في ظروفها الراهنة، وصارت الخيل والدروع والرماح لا تغني شيئاً، فصار الأمْر يتطلب شيئًا زائدًا على ذلك يساير الأحوال، ويساير التطو ر في حالاته الراهنة، فعلى المسلمين أن يُعدّوا كل ما في الاستطاعة منه، ولكنهم - وإنا لله وإنا إليه راجعون- لا يُعدّون في أغلب أقطار المعمورة شيئًا ... أما التعاليم السماوية فهي لا تشجع على الضعف والتواكل، لا، إنما تأمر بالقوّة، وإعداد القوة المستطاعة، وعدم التنازع، والاتصال مع هذا كله بخالق السماوات والأرض، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه"[١].

ويقول في موضع آخر:" فإن النسبة بين التمسك بالدين والتقدم، كالنسبة بين الملزوم ولازمه. لأن التمسك بالدين ملزوم للتقدم، بمعنى أنه يلزم عليه التقدم، كما صرحت به الآيات المذكورة"[٢]. وبعد تقرير هذه الحقيقة يلتفت إلى حال المسلمين وواقعهم المتردي ؛ نتيجة جهلهم بدينهم وغفلتهم عن هذا التلازم بين التمسك بالدين والتقدم المادي ، فيقول رحمه الله :"فالدين هو هو، وصلته بالله هي هي، ولكن المنتسبين إليه في جل أقطار الدنيا تنكروا له، ونظروا إليه بعين المقت والازدراء، ولو راجعوا دينهم لرجع لهم عزهم ومجدهم"[٣].

(١) العذب النمير، ١٥٧/٥
(٢) أضواء البيان، ٤٠/٣
(٣) المصدر نفسه، ٤٠/٣

الخاتمة

وفي ختام الدراسة، أسجل أهم النتائج والتوصيات، وتتمثل فيما يأتي:

(أولًا) – نتائج الدراسة :

١- التجديد التفسيري هو قيام المجتهدين من علماء التفسير بإحياء فهم وتدبر معاني القرآن؛ بتنقيتها من الدخيل، وتقريبها للناس، وتنزيلها على الواقع، مع التقيد بأصول التفسير وضوابطه المنهجية.

٢- التجديد التفسيري أمر في غاية الأهمية، لتلبية متطلبات الناس في جميع شؤون الحياة، وهو يعكس تجدد عطاء القرآن في كل العصور. ومن هنا يبرز دور المجددين الذين ينيرون للأمة طريق تعاملها مع كتاب ربها؛ فهمًا وتطبيقًا ومنهجًا وأسلوبًا.

٣- يعد الإمام الشنقيطي من أهم مجددي التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، بل وفي مسيرة الدرس التفسيري كله؛ ذلك أنه عمل على إحياء الدرس التفسيري في العصر الحديث، وإثراء جهود سابقيه، كما أضاف مفاهيم ومناهج تفسيرية جديدة، فتحت آفاقا تدبرية واستنباطية للنص القرآني.

٤- تمثلت أهم الجوانب التجديدية في التفسير عند الشنقيطي في تفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي، ومشكل القرآن، واستنباط وتدبر معاني القرآن، وقضية المجاز وأثرها في التفسير، علاوة على تنزيله الآيات على قضايا عصره المختلفة.

٥- يتطلب تنزيل الآيات على الواقع موسوعية المفسر العلمية، كما يتطلب حسن استقرائه لقضايا واقعه؛ وذلك للوقوف على المناسبة التنزيلية المعتبرة في الشرع والواقع، وإلا كان التنزيل مذمومًا لا وجه له.

٦- يتبين من تنزيل الشنقيطي الآيات على الواقع أنه لم يكن بمعزل عن قضايا عصره في معالجاته التفسيرية. ويدل على ذلك وعيه بالتيارات الفكرية المعاصرة ونقدها في ميزان الكتاب والسنة، وكذلك موقفه المتوازن من الحضارة الغربية، ومن خلال رده على شبهات المشككين في النظام الجنائي الإسلامي، وحرصه على تشخيص علل الأمة الإسلامية وبيان علاجها، وغير ذلك من القضايا.

(ثانيًا) – التوصيات:

١- أوصي الباحثين بدراسة جهود المجددين ، لا سيما المعاصرين منهم، في التفسير وفي كافة علوم الشريعة.

٢- إن قضية التنزيل لا تقتصر على الآيات فحسب، بل هي في الأحاديث النبوية كذلك. لذا أوصي الباحثين بدراسة جهود المحدثين وشراح الحديث في تنزيل الأحاديث على قضايا عصرهم.

٣- العناية بعقد المؤتمرات والندوات التي تبرز الجهود التجديدية في الدراسات القرآنية، وفتح آفاق جديدة لتطوير هذه الدراسات.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الموضوع؛ فما كان من صواب فبفضل الله وتوفيقه وعونه، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

(أولا) الكتب:

١- اتجاهات التجديد في مصر في العصر الحديث، د. محمد إبراهيم شريف، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٨م

٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م

٣- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د. ت

٤- أخلاق أهل القرآن، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: محمد عمرو عبداللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ

٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ

٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر ، بيروت، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م

٧- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت،١٤١٣هـ، ١٩٩٢م

٨- بحوث فقهية مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله، د. فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٥هـ
٩- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمع وإعداد: يسري السيد محمد وصالح أحمد الشامي، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٧هـ
١٠- تاج العروس، لمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: العلامة عبد السلام هارون، طبعة الكويت، ١٤١٥هـ
١١- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م
١٢- ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، د.عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس، دار الهجرة، الرياض، ١٤١٢هـ،١٩٩٢م
١٣- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الغرناطي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
١٤- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق،١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م
١٥- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م
١٦- تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م
١٧- تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للإمام السيوطي، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
١٨- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الضامر، منشورات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م
١٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ
٢٠- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م
٢١- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م

٢٢- روضة الناظر وجنة المُناظر، لابن قدامة المقدسي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ
٢٣- زاد المسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي ، بيروت، ١٤٠٤هـ
٢٤- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت
٢٥- السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ
٢٦- سنن أبي داود، دار الفكر، بيروت، ط١٤١٠هـ، ١٩٩٠م
٢٧- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ
٢٨- شعب الإيمان، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ
٢٩- صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ
٣٠- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٣٩٢هـ
٣١- الصواعق المرسلة، لابن القيم، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م
٣٢- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م
٣٣- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الشواف، القاهرة،١٤١٢هـ، ١٩٩٢هـ
٣٤- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت٢، ١٤١٥هـ
٣٥- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ
٣٦- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار العلم والثقافة، القاهرة، د. ت
٣٧- فيض القدير، المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ،١٩٩٤م
٣٨- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ
٣٩- مباحث في التفسير الموضوعي، د. مصطفى مسلم، دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

٤٠- المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥ م
٤١- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ
٤٢- مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م
٤٣- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م
٤٤- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م
٤٥- المستدرك على الصحيحين، الحاكم أبو عبدالله النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م
٤٦- مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت
٤٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧م
٤٨- المعجم الأوسط، للطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ
٤٩- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م
٥٠- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت،١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م
٥١- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م
٥٢- مفهوم تجديد الدين، د. بسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث ، جدة، السعودية، ١٤٣٦هـ
٥٣- المقاصد الحسنة، للسخاوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م
٥٤- المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، د. محمد فتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م
٥٥- منهاج السنة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ

(ثانيًا) الدوريات :

١- مقالة بعنوان (الجمع بين الذكران والإناث في المدارس ومسألة التجديد والتجدد)، محمد رشيد رضا ، مجلة المنار، عدد صفر، ١٣٤٨هـ، مجلد رقم (٣٠).

(ثالثًا) الرسائل الجامعية :

١- الأمير الصنعاني ؛ منهجه وجهوده في التفسير، رسالة ماجستير منشورة نوقشت بجامعة أم القرى، من إعداد الدارسة عائشة بنت جمعان الزهراني. نشر جامعة أم القرى ، ١٤٢٨هـ

٢- دفع إيهام التعارض عن الآيات الواردة في الإيمان بالرسل والقدر، خالد بن عبدالله الدميجي، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى، ١٤٣٧هـ.